الإنسان و التطور
سلسلة الاصدارات المكتبية العلمية
25
2022
الجزء الثاني
في البيداغوجيا الكاملة

الأســـاس فـــي الطـب النفســي: الإفتراضـات الاساسيـــة

الفصـــــل السابـــــع

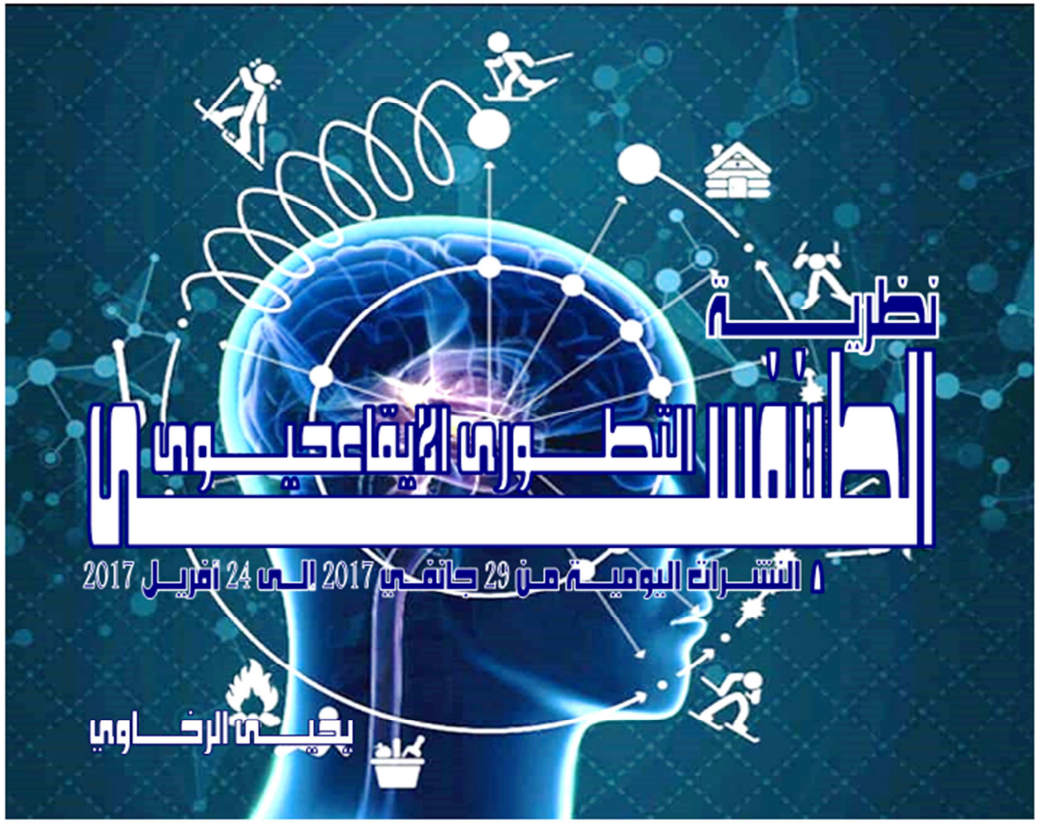

2022

إصـــدارات مؤسســة العلـــوم النفسيـــة العربيـــة

الأســـــاس فـــي الطـــب النفســـي: الإفتراضـــات الاساسيـــة

الفصـــــل السابـــــــــــــع

الفهـــــــــرس

العدد 3439 – الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (153)	9
منذ ربع قرن: بعض تاريخ هذا الفكر (2)	
العدد 3440 – الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (154)	
عودة إلى ملف الفصام	16
الفصام مغارة الضياع ووعود الإبداع	
عودة إلى علاقة الفصام بالتطور والإيقاعحيوى	
العدد: 3444 – الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (155)	
ما زلنا فى ملف الفصام	23
الفصام: حركية وعملية أم مصيرٌ ومآل؟	
العدد 3445– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (156)	
ما زلنا فى ملف الفصام	27
الفصام: حركية وعملية أم مصير ومآل؟ (2) لماذا الفصام؟	
3446– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (157)	32
وقفة مراجعة واسترشاد	

العدد3451– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (158) محاولة محدودة، وشكر وعرفان	36
العدد3452– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (159) المُنْطلقات العشرة	40
العدد3453– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (160) الأسهل أصعب!!!	44
العدد 3458 – الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (161) المواجهة	50
العدد 3459 – الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (162) الجهد المطلوب للتلقّى المسئول	56
العدد 3460 – الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (163) المايسترو المعالج يسلم القيادة للمخ الأنسب !!	63
العدد 3465 – الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (164)	72
العدد 3466 – الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (165) تبسيط وتطبيق عن التشخيص والصياغة	76
العدد 3467– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (166) عن "التقرير" النفسى وعلاقته بالتشخيص والصياغة	82
العدد 3472 – الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (167) ذِكْر، وتذكّر ما لم يُنْسَ!	89

العدد 3473 – الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (168) 96
التفاؤل العلاجى / Therapeutic Optimism
العدد 3474– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (169) 105
التكامل العلاجى
العدد 3479 –الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (170) 110
القواعد الأساسية، والفروض المادية
العدد 3480 –الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (171)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع 118
الفصام: الباب المقفول الذى وراءه "كل شىء" (1)
العدد 3481– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (172) 122
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع
الفصام: الباب المقفول الذى وراءه "كل شىء" (2)
العدد 3486– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (173)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع 127
الحيرة مستمرة ومفيدة، لكن التحدى ضرورى!!
العدد 3487– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (174)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع 132
تنويعات مفاهيم الفصام
العدد 3488– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (175)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع 139
تعدد مفاهيم الفصام (2)

العدد 3493– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (176)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع
المسيرة (1) الفصامية / THE SCHIZOPHRENIC MARCH 146

العدد 3494– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (177)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع
المتن (تقريبا) 154
ثانيا: مرحلة (مراحل) ما قبل المرض (1) (1)

العدد 3495– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (178)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع 162
مسيرة الفصام – ما قبل المرض (2)

العدد 3500– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (179)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع 170
مسيرة الفصام – المرحلة الثالثة: ما قبل البداية (1)

العدد 3501– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (180)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع
مسيرة الفصام– النفسمراضية (السيكوباثولوجية) (4) 175
(تابع) المرحلة الثالثة: مرحلة ما قبل البداية (2)

العدد 3502– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (181)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع 183
مسيرة الفصام النفسمراضية (5)

العدد 3507– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (182)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع
مسيرة الفصام: النفسمراضية (السيكوباثولوجية) (6) 191

العدد 3508– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (183)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع
مسيرة الفصام :النفسمراضية (السيكوباثولوجية) (7) 196
مراحل التفكيك وتماديه

العدد 3509– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (184)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع 201
مسيرة الفصام : النفسمراضية (السيكوباثولوجية) (8)

العدد 3514– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (185)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع 206
تذكرة بالمنهج قبل تقديم : أنواع الفصام

العدد 3515– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (186)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع 212
أنواع الفصام، والتخطيط العلاجى

العدد 3516– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (187)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع 219
أنواع الفصام: تمهيد تاريخى لازم

العدد 3521– الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (188)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع 225
أنواع الفصام (؟؟)
العدد 3522 – الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (189)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع 233
أنواع الفصام (2)
العدد 3523 – الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (190)
الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع 238
أنواع الفصام (3)

الأحـــــد 2017-01-29

العدد 3439 - الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (153)

منذ ربع قرن: بعض تاريخ هذا الفكر (2)

إن أغلب العلمعصبى يؤكد على الزيادة أو النقص كميا من هذه المادة البيوكيميائية أو تلك، وعن موقع ذلك تشريحيا، أى على "الموضعة"، وموقع تواجد المتاح من المادة الفاعلة (تحديدا فى الجهاز العصبى) وخاصة فى المشتبكات العصبية المختلفة، وكذلك على مستوى العقار فى البلازما، وأيضا يجرى تقييم الأعراض تقييما كمّيا

مقدمة:

بدأت أمس فى إعادة نشر أول افتتاحية منتقاة من الافتتاحيات التى كتبتها وسبق نشرها فى المجلة المصرية للطب النفسى، والتى لها علاقة مباشرة بالطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى وبالمنهج الذى اتبعه وأنتمى إليه فى قراءتى الطبيعة البشرية فى الصحة والمرض استجابة لأمر ربى الأكرم، الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم.

وقد رأيت فى مقدمة نشرة أمس أن أمنع نفسى عن التعقيب على المتن الأصلى مكتفيا بالتعقيب فى الهوامش أو بين قوسين، إلا أننى بعد أن انتهيت من ترجمة بقية الافتتاحية الأصلية اكتشفت أن بها من التفاصيل الأكاديمية والمصطلحات الجديدة (بالعربية) ما قد يُبعد القارىء عن جوهر الفكرة، وأنا كل قصدى هو أن يدعم القديمُ الجديدَ لتوضيح أبعاد الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى، ثم إن كثيراً من هذه المعلومات المدعمة بالمراجع التى وردت فى الأصل قد أصبحت قديمة نسبيا، وبعضها نُسِخَ بأبحاث أحدث، فرأيت اليوم بالنسبة لهذه التفاصيل ما يلى:

أولاً : أن أتركها للقارىء كما هى فى الأصل الانجليزى بمراجعها.

ثانياً :أن أنقلها إلى الهامش فى الترجمة العربية إذا لزم الأمر.

ثالثاً : ألا أتردد فى إضافة تعقيبات أكثر تفصيلا لعلها تساعد فى الربط بين تاريخ أعمالى وبين ما استحدث فى فكرى وخبرتى وتنظيرى وفروضى فيما هو الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى، حتى لو كان قد سبق نشرها فى سياق آخر.

وقد اضطررت إلى إعادة صياغة بعض الفقرات بالعربية غير ملتزم بالترجمة الحرفية، وذلك حتى يمكن توصيل الرسالة بلغتى الفصحى لمن لم يعتد القراءة بها تاركا الأصل بالانجليزية دون مساس لمن شاء أن يرجع إليه ليصل منه مباشرة إلى ما يستطيع.

وبعد

انتهت نشرة أمس بتساؤلات حول الهوة القائمة بين الممارسة الإكلينيكية والمنظومات المعملية، وعن ضرورة وجدوى تطبيق المعلومات المعملية لاختبارها إمبريقيا فى واقع الممارسة الإكلينيكية، وعن تناسب ما يجرى مع القدرة المالية لأغلب المرضى فى الدول النامية حين تضاف إلى أثمان الأدوية تكلفة هذه الابحاث المعملية الباهظة، وعن علاقة كل ذلك بتقييم النتائج إكلينيكيا مع الحذر من استيراد قيم نصف بها ما يسمى "نوعية الحياة" متجاوزين نخاع ثقافتنا، وعن الحاجة إلى فروض موازية نابعة من الممارسة الإكلينيكية لدعم أو نقد أو تصحيح المعلومات العلمعصبية التجريبية والمعلمية.

وأواصل اليوم نشر ما تيسر من نفس الافتتاحية بالإنجليزية، مع إعادة التنظيم كما ورد فى الاستهلال للصورة العربية:

باقى الافتتاحية:

.....

المتن

..."حتى يمكن تحقيق حوار أفضل بين الممارسة الإكلينيكية والمعلومات العلمعصبية من الضرورى أن نعيد النظر فى أساسيات ابتعدت عن بؤرة اهتمامنا، أورد أهمها فيما يلى:

قلت إنه "إذا كان العطّار لا يصلح ما أفسد الدهر، فإن الدهر هو الاقدر أن يصلح ما أفسد الدهر" والعطّار الحديث هو العقاقير وحدها، والدهر الحديث يشمل التعرف على ماهية مسيرة الإنسان ومواكبتها، وآليات تواصلها مع حولها من الطبيعة والبشر ودوائر الوعى الممتدة إلى الغيب إليه، بما يسمح بتصحيح المسار

أولاً: المَوْضَعة فى مقابل المنظومة) [2] وما إلى ذلك من مصطلحات(

إن أغلب العلمعصبى يؤكد على الزيادة أو النقص كميا من هذه المادة البيوكيميائية أو تلك، وعن موقع ذلك تشريحيا، أى على "الموضعة"، وموقع تواجد المتاح من المادة الفاعلة (تحديدا فى الجهاز العصبى) وخاصة فى المشتبكات العصبية المختلفة، وكذلك على مستوى العقار فى البلازما، وأيضا يجرى تقييم الأعراض تقييما كمّيا، وكذا تُفحص نتائج الاستقصاءات التقنية من نفس المنطلق، وقد يكون هذا الموقف هو المسئول – على الأقل جزئيا– عن ما نتعامل به مع المرضى من اختزالية، لواحدية المريض إلى أجزاء وكيماويات وأعراض.

إن فن اللأم يستعمِل، أو ينبغى أن يستعِمل، أبجدية أخرى مثل "المنظومة" و"الإنتاجية" و"نوعية الحياة" ونوعية الحياة(3)

في حين أن العلم عصبى يعطينا معلومات ذات مصداقية وثبات (معملى) فى معظم الأحيان، فإن الممارسة الإكلينيكية ما زالت تعتمد على فروض عاملة نحكم عليها من خلال العائد النفعى الواقعى (للمريض ومحيطه)

التعقيب: (من افتتاحية أسبق: 1981(

اكتشفت أننى كتبت افتتاحية قبل هذه الافتتاحية بثلاثة عشر عاما: سنة 1981 أنبه فيها إلى الحاجة إلى أبجدية جديدة نتعرف بها على مرضانا وكيف أننا نتعامل معهم باستعمال أبجدية ساكنة ومعَطِّلَة فوجدت أن التعقيب المناسب هنا أن أنشر من هذه الافتتاحية مقتطفا هو نصه.

الافتتاحية بعنوان: المنظومات المخية ووظائف المخ: الحاجة إلى مراجعة تطوير معانى الكلمات والمفاهيم،

Brain Organization and Brain Function (A need for semantic and conceptual revision) Egypt. J. Psychiat. (1981) 2 : 151-152

وقد أنهيتها لإثارة التحدى والمناقشة كالتالى:

(1)المَوْضَعَة (تحديد موضع) فى مقابل المنظومة (الكلية المشمِلَة. Localization versus Organization)

علينا أن نتذكر أن التحليل النفسى (بكل تاريخه) ما زال حتى الآن فرضا لا يرتقى إلى مرتبة النظرية

(2)المدى فى مقابل التخصص Extent versus Specification

(3)كيمياء المشتبكات العصبية فى مقابل التنشيط البيولوجى الشامل للتنظيمات حتى داخل الخلية Synaptic Chemistry versus Biotical Activity including Intracellular Organization.

(4)الترتيب الهيركى فى مقابل التنظيمات المشتبكية المستقلة Hierarchical Organization versus Independent synaptic Organization

(5)التنظيم المكانى فى مقابل التنظيم الزمانى Spacial versus Temporal Organization،

وقد تعجبت – مرة أخرى – من أن هذه المشاكل المبدئية كانت تشغلنى بها الإلحاح منذ البداية، وقبل الافتتاحية الحالية بأكثر من عشر سنوات، كما اطمأننت إلى أنها جميعا تسير فى نفس الاتجاه وهو الأقرب إلى ما استحدث مؤخراً فى ما سمى بالطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى.

المتن:

ثانياً: البُعد الطولى فى مقابل البعد العرضى:

يولى العلمعصبى اهتماما أقصى على ما يمكن رصده الآن من تغيرات كيميائية أو تشريحية أو فسيولوجية، فى حين ترتكز الممارسة الإكلينيكية على فروض عاملة قابلة للاختبار والتقييم بمدى عطاء نتائجها على مدى طولى باعتبار أن بعد "الزمن" هو الأساس المحورى فى كل من "السببية" و"العلاج" جميعا، وهذا المنطلق من بعد الزمن ليس خطّيا، ولكنه يشمل كلا من **الإيقاعحيوى والتوليف التنظيمى** لكل من الحياة والمخ.

التعقيب:

امتد هذا البعد الطولى بعد تطور فكرى التطورى الإيقاعحيوى ليبدأ من بداية الحياة، حتى بداية الإنسان، وأيضا من تاريخ بداية الفرد، حتى بداية اللحظة،

فرض "واحدية المرض النفسى" (بعد استبعاد الأمراض الناتجة عن تألف تشريحى)، على اعتبار أن الفصام هو المرض الأم، والأخطر، وأن كل الأمراض هى حيل دفاعية للحيلولة دون تماديه على مسار التفكك فالتفسخ فالتناثر فضمور عدم الاستعمال (الأعراض السلبية).

وانطلاقا من هذه البدايات الدائمة النابضة الخالقة، يتجدد الأمل باستمرار، هذا المنطق هو نافذة للتفاؤل بقدر ما هو حافز للعمل والمثابرة، وفى مثل ذلك قلت إنه "إذا كان العطّار لا يصلح ما أفسد الدهر، فإن الدهر هو الاقدر أن يصلح ما أفسد الدهر" والعطّار الحديث هو العقاقير وحدها، والدهر الحديث يشمل التعرف على ماهية مسيرة الإنسان ومواكبتها، وآليات تواصلها مع حولها من الطبيعة والبشر ودوائر الوعى الممتدة إلى الغيب إليه، بما يسمح بتصحيح المسار، كما تأكد كثير من ذلك فى المقولة العلمية التى أصبحت مبدأ ثابتا للتعامل مع المخ وهو أن المخ يعيد بناء نفسه، وكل ما علينا هو أن نتعرف على كيف يفعل ذلك ونعينه بكل العلم، والفن، والمواكبة، والمسئولية، والمشاركة، ليواصل ذلك حتى يسترجع طبيعته كما خلقها خالقها.

تفرع من هذا الفرض فروض موازية تجعل حياة التكيف العادية من أنجع الدفاعات أيضا ضد هذا المآل ثم تجعل الإبداع هو الدفاع الأروع والأقدر على إعلان قدرة المخ على إعادة التشكيل ليس فقط للتغلب على المرض أو الوقاية منه

المتن:

ثالثاً: الحقائق الجاهزة والمعلومات المغلقة فى مقابل النظريات والفروض

فى حين أن العلم عصبى يعطينا معلومات ذات مصداقية وثبات (معملى) فى معظم الأحيان، فإن الممارسة الإكلينيكية ما زالت تعتمد على فروض عاملة نحكم عليها من خلال العائد النفعى الواقعى (للمريض ومحيطه)، وعلينا أن نتذكر أن التحليل النفسى (بكل تاريخه) ما زال حتى الآن فرضا لا يرتقى إلى مرتبة النظرية، كذلك فإن" طريقة عمل كل العقاقير "ما زالت مهما كثرت العقاقير أو أفادت فى مرحلة الفروض، وحاليا فإن ثمة محاولات للتأليف بين معلومات العلمعصبى وبين الفروض القائمة، الأمر الذى قد يتيح الفرصة لتخليق فروض جديدة أكثر صلاحية لتحقيق أهداف صالحة ومعقولة للممارسة الطبيبة.

التعقيب:

خلال كل هذه السنوات تواصل اختبار الفروض البادئة الواحد تلو الآخر: أورد عناوين بعضها فيما يلى:

أولاً: فرض "وحدية المرض النفسى) "بعد استبعاد الأمراض الناتجة عن تألف تشريحى(، **على اعتبار أن الفصام هو المرض الأم، والأخطر، وأن كل الأمراض هى حيل دفاعية للحيلولة دون تماديه على مسار التفيكك فالتفسخ فالتناثر فضمور عدم الاستعمال (الأعراض السلبية(،**

ثانياً: تفرع من هذا الفرض فروض موازية تجعل حياة التكيف العادية من أنجح الدفاعات أيضا ضد هذا المآل ثم تجعل الإبداع هو الدفاع الأروع والأقدر على إعلان قدرة المخ على إعادة التشكيل ليس فقط للتغلب على المرض أو الوقاية منه (من خلال سلامة توظيف الإيقاعحيوى) وإنما أيضا فى احتواء التفكيك لإعادة التشكيل فى إبداع فائق يسهم فى دفع مسيرة الفرد فالجماعة فالنوع إلى تواصل النمو والتطور والحضارة والإيمان.

ثالثاً: توصلت الفروض لتفسير عمل ما يسمى الآن جلسات تنظيم إيقاع المخ) وهو ما كان يسمى بالصدمة الكهربائية) حيث بين هذا الفرض الأخير أن هذا العلاج – فى الوقت المناسب بالاعداد المناسب – هو بمثابة إعادة تشغيل المخ للسماح للمخ الذى تهيأ للقيادة والتكامل بالقيام بدور المايسترو الأقدر، بديلا عن التشوش الناتج عن استقلالية واقتحام المخ الناشز عن اللحن الأساسى.

رابعاً: توصلت الفروض بعد ذلك فى محاولة أن تقرأ طريقة عمل العقاقير بشكل آخر غير مجرد رصد زيادة أو نقص هذا الموصِل أو ذاك فى المشتبكات العصبية، وإنما بما يترتب على هذه الزيادة أو النقص من إعادة تنظيم كامل لمستويات الوعى ليحقق نفس الفكرة وهى تسليم القيادة بعد الإعداد المناسب وفى الوقت المناسب – للمستوى الأقدر على القيام بدور المايسترو، وبذلك استعادة الطبيعة البشرية لفطرتها كما خلقها خالقها لتكمل المشوار إلى الإبداع والإيمان مصحوبة بمن يسهم فى المواجهة والمشاركة والمسئولية.

وبعد

أما ما ورد بعد ذلك فى هذه الافتتاحية فقد أعود إليه غدًا، وقد اكتفى بهاتين العينيتين، سنة 1981 وسنة 1996 لننتقل إلى المهمة الأصلية ونواصل تقديم ما تيسر من معالم هذا الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى، فى محاولة الإلمام بما تبقى عن المرض الأم الفصام الذى أعطيناه عنوانا دالاً هو "مغارة الضياع ووعود الإبداع"

عذراً

ولكن هذا هو

[1] – Egypt. J. Psychiat. (1994) 17: 133-136

– [2]لن أكتب المصطلح بالإنجليزية غالبا لا فى المتن ولا فى الهامش مكتفيا بنشر كل المتن بالإنجليزية بعد الترجمة إلى العربية.

– [3]قمت بنقد استيراد تفاصيل قيم ما يسمى "نوعية الحياة Quality of life" ورفضت استيراد مفرداتها احتراما للاختلافات الثقافية وتمييزاً لهويتنا انظر مثلا نشرة: 13-4-2015 "ثقافتنا: وتفعيل إرادة الحياة" حركية التفاعل بين "الامتلاء" و"الامتداد" ونشرة: 19-4-2015 "ملاحظات شخصية من واقع الممارسة والثقافة"

الإثنيـــن 30-01-2017

العدد 3440 - الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (154)

عودة إلى ملف الفصام

الفصام مغارة الضياع ووعود الإبداع

عودة إلى علاقة الفصام بالتطور والإيقاعحيوى

ورد فرض بيزنز يقول: "إن الفصام هو الثمن الغالى الذى دفعه الإنسان وهو فى طريقه إلى تشكيل "المخ الاجتماعى"Social Brain"

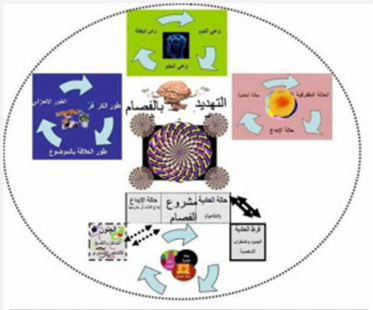

شكل يبين دورات المخ المتعددة المتوازية المعتدة الى دوائر الوعى المتعامدة اليه
ثم إن فقد هذا الهارمونى المتداخل يعلن التهديد بالفصام ومن ثم كل ما يترتب عليه

فى نشرة: 5-11-2016" **فروض تدعم بعضها بعضا"** استشهدت بما ورد فى كتاب جوناثان بيرنز" Jonathan Burns **جذور الجنون" الأصل التطورى للذهان "والمخ الاجتماعى(1) "**

ورد فرض بيزنز يقول:

"إن الفصام هو الثمن الغالى الذى دفعه الإنسان وهو فى طريقه إلى تشكيل "المخ الاجتماعى"Social Brain"

ويوضح المؤلف فرضه هذا بالإشارة إلى:

...“ إنه بمقارنة تطور المخ البشرى بتطور المخ عند القردة العليا وما قبلها يمكن أن نفهم كيف تطورت الأمخاخ خلال البضع ملايين السنين السابقة وكيف تميز الجنس البشرى بهذه الخطوة نحو تخليق “المخ الاجتماعى.”

وقد قدم المؤلف دلائل على تخليق هذا “المخ الاجتماعى Social Brain ” عند البشر من خلال “التطور متفاوت الأزمنةheterochrony ”، الذى يعنى أن المخ البشرى راح يعيش أطوارا أطول فأطول جيلا بعد جيل وهو يواصل تشكيل الترابط المتزايد بين مستويات المخ وخاصة النصفين الكرويين.

وهو يفترض أيضا أنه فى الفصام تطول مدة هذه المراحل المتعاقبة أكثر من اللازم مقارنة بالشخص العادى، وبالتالى فإن *نفس الأسلوب الذى ينمو به المخ لتكوين المخ الاجتماعى هو هو ما يحدث عند الفصامى*، إلا أن الفصام يحدث حين تتجاوز محاولات التشكيل كفاءة الترابط وطبيعة التشكيل النيورونى حدود السواء فالتطور، وبدلا من تحقيق متطلبات تخليق المخ الاجتماعى، يزداد التداخل والتكثيف بدلا من التشكيل والتخليق الإبداعى، ومن ثَمَّ: يحدث الفصام،

وينتهى المؤلف إلى أن الفصام هو الثمن الباهظ الذى دفعه الإنسان لتشكيل ما هو المخ الاجتماعى، وأن مزية تحسين القدرة على التكيف الاجتماعى من خلال تطوير التشابك النيورونى ما تجاوزت حدود توظيف ذلك للتواصل والتكيف العلاقاتى فإنها تنقلب إلى تشابك مفرط غير منظم بين النيورونات، فيتخلق الفصام على حساب عجز تخليق المخ الاجتماعى.

هذا بالنسبة لتطور الحياة حتى تخلق الجنس البشرى – بفضل الله – عبر مئات الآلاف من السنين.

وهو تفسير يجعلنا نتعاطف مع هؤلاء الضحايا من أبناء نوعنا الذين دفعوا ثمن استمرار مسيرة الإنسان حتى يتطور لهم المخ الاجتماعى فيتواصلون بشرا على حد فرض بيرنز.

“...إنه بمقارنة تطور المخ البشرى بتطور المخ عند القردة العليا وما قبلها يمكن أن نفهم كيف تطورت الأمخاخ خلال البضع ملايين السنين السابقة وكيف تميز الجنس البشرى بهذه الخطوة نحو تخليق “المخ الاجتماعى”

يعنى أن المخ البشرى راح يعيش أطوارا أطول فأطول جيلا بعد جيل وهو يواصل تشكيل الترابط المتزايد بين مستويات المخ وخاصة النصفين الكرويين.

لكن بيرنز لم يتطرق إلى ظهور الفصام حتى أيامنا الحالية، بتواتر عال نسبيا، طوال التاريخ وعبر العالم، وهى نسبة 1 % التى ما زالت ثابتة باستقرار غريب، وثبات هذه النسبة وارتفاعها حسب حسابات التطور جعلت الباحثين يعجبون كيف أن مرضا (الفصام (متوسط عمر أفراده life span أقل من المتوسط العادى، ومدى خصوبته fertility) عدد نسله) أيضا أقل أيضا من المتوسط العادى كيف أن هذا المرض كان المفروض أن تتراجع نسبته عبر آلاف السنين ولا تظل ثابتة 1(2) % ، لأن القاعدة هى أن المرض إذا كان خبيثا تطوريا، وفى نفس الوقت هو شائع بهذا الشكل، فإنه يعرض الجنس المصاب به للانقراض بعد أن تتراجع نسبته باستمرار، الأمر الذى دعا كثيرا من العلماء إلى وضع فروض تفسر هذا ا التناقض الظاهر، ومنها:

إن الذى يوّرَّث فى حالة الفصام ليسي جينا خاصا بمرض الفصام، وإنما هو جين له سمة تطورية إيجابية ، ولا تصبح سلبية إلا فى اللقاح المماثل homozygosوأن الفصام ليس إلا الصورة السلبية لتجليات هذا الجين إذا كان اللقاح مغايرا(3) hetorozygos ، وبغض النظر عن صحة هذا التفسير بهذه التفاصيل، فإن هذه الاحتمالات دعت الباحثين إلى البحث عن تواتر ظاهرة الإبداع الفائق فى عائلات الفصاميين، ونجحوا فى إثبات أن الإبداع متواتر فعلا أكثر من النسبة فى المجتمع العادى، بل إن دورات الإبداع قد تتبادل فى بعض الأحيان فى المريض الفصامى نفسه، بمعنى أن بعض المبدعين يصابون بنوبات فصام تبادلا مع نكساتهم المحتملة.(4)

يبدو أن كل تلك المعلومات والفروض وما إليها كانت وراء فروضى عن **علاقة الإبداع باضطراب الفكر الجوهرى عند الفصاميين** Formal Thought Disorder، وعن**" حالات الوجود المتبادلة)"تشرة 25-6-2016)و)نشرة 25-6-2016 (و)نشرة 25-6-2016(** وعن كثير من

أن الفصام هو الثمن الباهظ الذى دفعه الإنسان لتشكيل ما هو المخ الاجتماعى، وأن مزية تحسين القدرة على التكيف الاجتماعى من خلال تطوير التشابك النيورونيإذا ما تجاوزت حدود توظيفه ذلك للتواصل والتشكيفه العلاقاتى فإنها تنقلب إلى تشابك مفرط غير منظم بين النيورونات، فيتخلق الفصام على حساب عجز تخليق المخ الاجتماعى

نتعاطف مع هؤلاء الضحايا من أبناء نوعنا الذين دفعوا ثمن استمرار مسيرة الإنسان حتى يتطور لهم المخ الاجتماعى فيتواصلون بشرا على حد فرض بيرنز

تتظيرى المتعلق بدور الإيقاعحيوى في إعادة بناء المخ لنفسه باستمرار، وبالتالى فى دفع نبض النمو على مدى عمر الإنسان الفرد(5) (

تطوير فروض جوناثان بيرنز

إذا كان ظهور الفصام فى الجنس البشرى هو الثمن الذى دفعه الإنسان فى طريقه إلى تشكيل المخ الإجتماعى من خلال التطور متفاوت الأزمنة فما الذى حافظ على ظهور هذا المرض بهذه النسبة المتواترة بيننا حتى الآن، وهى نسبة كما شرحنا كيف تتعارض مع قوانين التطور مقاسة بالخصوبة ومدى العمر؟ وما هو السبب الذى يجعل فردا بشريا بذاته وقد أخذ فرصة تخليق المخ الاجتماعى كاملا من أجداده الذين دفعوا الثمن فصاما!! – حسب بيرنز– ما هو السب الذى يجعله يعيد دفع ثمن سبق أن دفعه أجداده بالتمام والكمال، بدليل أنه ولد وهو يحمل الجاهزية لإطلاق فاعلية كل الأمخاخ بما فى ذلك المخ الاجتماعى؟

لقد وجدت للإجابة على هذا السؤال من استلهامى لنظرية الاستعادة (القانون الحيوى) لإرنست هيكل Recapitulation Theory من خلال فروض الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى، التى سمحت لى بامتداد فكرة الاستعادة حتى الآن، ليس فقط استعادة الأنتوجينيا للفيلوجينا، ولكن بكل مستويات الاستعادة متضمنة الماكروجينا والميكروجينا.

عندما انتبهت إلى الإضافة التى أضافها بيرنز دون ارتباط بتوسيع قياس الاستعادة حين أشار إلى التطور متفاوت الأزمنة" واضطراد المحاولات مع كل دورة نمو، خطر لى أن نوعا مناظرا لهذا التطور متفاوت الأزمنة heterochrony هو الذى يحدث فى عملية الإبداع عند الأفراد على مسار تطورهم إلى نضج إبداعهم، بل هو هو الذى يحدث فى أى عملية

إن الذى يورّث فى حالة الفصام ليسي جينا خاصا بمرض الفصام، وإنما هو جين له سمة تطورية إيجابية ، ولا تصبح سلبية إلا فى اللقاح المماثل homozygos وأن الفصام ليس إلا الصورة السلبية لتجليات هذا الجين إذا كان اللقاح مغايرا (hetorozygos (3

هذه الاحتمالات دفعت الباحثين إلى البحث عن تواتر ظاهرة الإبداع الفائق فى عائلات الفصاميين، ونجحوا فى إثبات أن الإبداع متواتر فعلا أكثر من النسبة فى المجتمع العادى

إبداع عند الأفراد عامة، إذن فهو يتكرر ليس فقط لتخليق المخ الاجتماعى، وإنما لتخليق وتنشيط كل مستويات الإبداع وباستمرار من أول إبداع النمو أثناء دورات النبض اليوماوى فى النوم (الحمد لله الذى أحيانى بعد ما أماتنى وإليه النشور) وحتى نتائج دورات الإبداع الفائق بشتى صوره.

يبدو أن هذه الفروض والقياسات كانت تكمن وراء ما قدمته عن الترتيب الهيراركى للأمخاخ ، وأن هذا الترتيب لا يتوقف عند المخ الاجتماعى التكيفى وإنما يتواصل إلى المخ التكاملى الجدلى الإبداعى، كما بينت بوضوح فى نشرات مختلفة وأنا أقدم حضور هذا المخ التكاملى الجدلى الإبداعى ودوره فى الإيقاعحيوى الذى إذا فشل كان الناتج جنونا لا إبداعا.

بألفاظ أخرى:

إن الفصامى – الآن وليس فقط عبر التاريخ – يظهر بكل سلبيته وتفسخه حين تتجاوز محاولات التشكيل (الإبداع) كفاءة الجدل اللازم لتواصل العمليات الإبداعية المتكررة حتى غايتها، وهى إعادة بناء المخ، وتخليق احتمالات جديدة سواء كانت مرصودة أو غير مسجلة، وقد أبنتُ ذلك مرارا وتكرارا مع ألحاحى على تقديم فروض حالات الوجود المتبادلة طول تناولى لهذه الاحتمالات.

نستطيع أن نخلص الآن مؤقتا إلى تطبيق فروض بيرلز التطورية على محاولة فهمنا للفصام وعلاقته بالإيقاعحيوى المستمر، باعتبار أنه ما دام التطور مستمرا بل مستعادا مع كل نبضة إيقاعحيوى، فإن نسبة معينة (1 %) هى التى تفشل فى مواصلة الإبداع، ويظهر الفصام بنتيجة لذلك مسبوقا ومصحوبا أحيانا بنفس الخطورة مع كل نبضة إيقاعحيوى، أو مع كل دورة نمو

على أن ذلك لا يعنى أن الإبداع الشائع الذى نعرفه هو المقصود باستمرار حيث أن الغالبية تكتفى بالإبداع النمائى اليوماى، وتتوقف فاعلية نبضات الإيقاعحيوى عند تخليق ودعم المخ الاجتماعى التكيفى، ويظل ناتج إبداع

إذا كان ظهور الفصام فى الجنس البشرى هو الثمن الذى دفعه الإنسان فى طريقه إلى تشكيل المخ الإجتماعى من خلال التطور متفاوت الأزمنة فما الذى حافظ على ظهور هذا المرض بهذه النسبة المتواترة بيننا حتى الآن

يبدو أن هذه الفروض والقياسات كانت تكمن وراء ما قدمته عن الترتيب الهيراركى للأمخاخ ، وأن هذا الترتيب لا يتوقف عند المخ الاجتماعى التكيفى وإنما يتواصل إلى المخ التكاملى الجدلى الإبداعى

المخ الجدلى غير موجود ظاهرا لكنه هو الذى يحافظ على استمرار حياة البشر بشرا.

وعلى ذلك يصبح التوقف القسرى دون التمادى فى التطور متفاوت الأزمنة هو بمثابة آليات دفاعية صد مخاطر التمادى الأخطر فى مرحلة المخاطرة بالإبداع، وهذا ما يصنف الحياة العادية التكيفية وليس بالضرورة المغتربة، ولعل هذا هو ما وصفناه على أنه دفاع "الشخص العدادى" ضد احتمال الفصام بمعنى أنه هو فى الحقيقة ، تجنب للخوض فى مخاطر التفكيك اختبارا لمدى نجاح التطور متفاوت الأزمنة فى مواصلة المحاولة.

أقدم حضور هذا المخ التكاملى الجدلى الإبداعى ودوره فى الإيقاعحيوى الذى إذا فشل كان الناتج جنونا لا إبداعا

أنه ما دام التطور مستمرا بل مستعادا مع كل نبضة إيقاعحيوى، فإن نسبة معينة (1 %) هى التى تفشل فى مواصلة الإبداع، ويظهر الفصام بنتيجة لذلك مسبوقا ومصحوبا أحيانا بنفس الخطورة مع كل نبضة إيقاعحيوى، أو مع كل دورة نمو

أن الغالبية تكتفى بالإبداع النمائى اليومى، وتتوقف فاعلية نبضات الإيقاعحيوى عند تخليق ودعم المخ الاجتماعى التكيفى

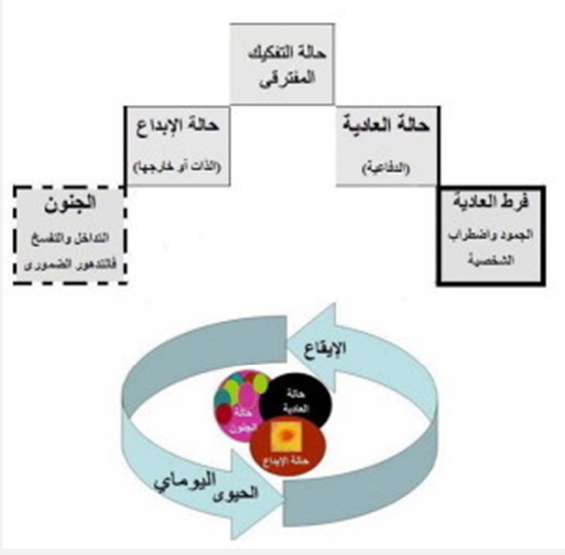

[1] – Jonathan Burns "The Descent of Madness" Evolutionary Origins of Psychosis and the Social Brain. 2007

– [2]مثلما هو الحال فى مرض كوريا هنتجتون Huntington Chorea الذى وصل تواتره الآن إلى واحد فى المائة ألف : لأنه خبيت تطوريا بنفس حسابات متوسط العمر والخصوبة

يصبح التوقف القسري دون التمادي في التطور متفاوت الأزمنة هو بمثابة آليات دفاعية ضد مخاطر التمادي الأخطر في مرحلة المخاطرة بالإبداع، وهذا ما يصنف الحياة العادية التكيفية وليس بالضرورة المغتربة

– [3]وقد استلهموا هذا الفرض قياسا بفقر الدم المنجلى Sickle cell anemiaحيث المعروف أن المصاب به تكون عنده مناعة ضد الملاريا الخبيثة بنفس منطق هذا القياس

– [4]قمت بالاشراف على بحث للدكتوراه عن عائلات الفصام فى البيئة المصرية، أثبت أهمية الوراثة ليس بالنسبة لوراثة الفصام فحسب بل لأمراض أخرى وخاصة اضطرابات الشخصية، هذا بالاضافة إلى تأكيد أهمية العائلة بيئيا، والتفاعل بين العاملين هو تفاعل أعمق من مجرد الجمع أو حتى التداخل حيث أنه تفاعل دوامى Perpetual متصل.

Sherbini, G. (1976) Families of Schizophrenia in Egypt, Tanta University- Unpublished Thesis.

– [5]وقد ظهر هذا فى النشرات بإلحاح طوال تقديمى للطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى بشكل لا يحتاج إلى الإحالة إليه جميعا

الأســـــاس فـــي الطـب النفســي: الإفتراضـات الاساسيـــة

الفصـــل السابـــــــــع

جميـــع الحقـــوق محفوظـــة للمؤلـــف 2022

سلسلة الإصدارات المكتبية العلمية

25

2022

الإنسان والتطور

في الإبداع الكامل

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2022

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية